Archive of SID

مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة ١٥، العدد ٢، صيف ١٤٤٠هـ
صفحة ٢٤٩ – ٢٧٣ (مقالة محكمة)

Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6187
https://jal-lq.ut.ac.ir/

دراسة أساليب الإقناع في رسائل الإمام علي عليه السلام
(نموذجاً الرّسالة الثّامنة والعشرين من نهج البلاغة)

مهدي عابدي جزيني[١]*، هاجر إلهايي سحر[٢]

١. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان، إيران
٢. طالبة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان، إيران

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٨/٥/٢٠ ؛ تاريخ القبول: ٢٠١٨/١١/٢٤)

الملخّص

إنّ الحديث عن الإقناع بوصفه عمليّة خطابيّة، يتوخّى بها الخطيب تسخير المخاطب لفعل أو ترك، بتوجيهه إلى اعتقاد قول يعتبره كلّ منهما، أو يعتبره المخاطب، شرطاً كافياً أو مقبولاً للفعل أو التّرك؛ ولأنّ رسائل الإمام علي عليه السلام مادّة غزيرة بشكلها ومضمونها وتكامل مجموعة العلاقات التي تنظّم النصّ مكونة انسجاماً تامّاً لبنية نصّ كليّة، اخترنا إحدى هذه الرّسائل لندرس عملية الإقناع والحجاج فيها. ونعني بالدراسة، النّظر في مجموع التّقنيات التي اعتمدها الإمام ليحتجّ لرأي أو ليدحض فكرةً محاولاً إقناع معاوية بما يبسطه، أو حمله على الإذعان لما يعرضه، بهدف تغيير ما في عقله وأفكاره بالتّصويب والإصلاح، وبما أنّ رسالة ٢٨ من نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام تحتوي على آليّات إقناعية متعدّدة تناولنا أهمّ التقنيات المستخدمة لادّعاءات معاوية وتُرّهاته منها طرائق الوصل والوصل السببي، وطرائق الفصل، وروابط العطف الحجاجي، والإستشهاد بالمثل، والسؤال البلاغي، ومادّة الصّورة الفنّية التي درسنا منها مجال الإنسان، التعليل والترجيح متّخذين منهج الوصفي- التحليلي. ومن نتائج هذه الدّراسة أنها تهدف إلى إيجاد نظرة عميقة لقارئ رسائل الإمام وتمنحه انطباعاً جديداً اتّجاه رسالة الإمام هذه؛ غير تعرّفه بأسلوب الإمام الإقناعي والحجاجي في رسائله وطريقة جوابه وردّه على ترّهات معاوية خاصّة.

الكلمات الرئيسة

الإقناع، الحجاج، الإمام علي عليه السلام، معاوية، رسائل الإمام عليّ عليه السلام.

---

* الكاتب المسؤول
Email: mehdiabedi1359@yahoo.com

www.SID.ir

Archive of SID

مقدمة

كان اهتمام الإنسان بالحجاج قديماً، حيث امتزج بالدّراسات المنطقية والبلاغية، وبالجدل والخطابة والفلسفة، فقد عدّ الإغريق البلاغة فنّاً للتأثير في النفوس. إلا أنّ فضاء البلاغة سرعان ما تلاشى بعد حلول العصر الصّناعي، وهذا لأسباب عدّة منها: طغيان العقلانية التي ترفض الاستدلالات الخارجة عن البرهنة. ثمّ عادت البلاغة والحجاج بقوّة بعدما امتزجا بنظريّة التواصل، ولعلّ أهم ما ساعد على ذلك هو التخلّص من الوهم القائم على اعتبار اللغة نظاماً لرسم الوقائع، فهي حسب التصوّر الجديد نظام تتحوّل به الأقوال إلى أفعال. إذن «الحجاج هو عمليّة تواصليّة بين ذوات يطمح كلّ منها إلى إيصال الآخر إلى أقصى غاية إقناعية ممكنة عبر وسائل وأدوات منطقية وبلاغية ولغوية كفيلة بإحداث التأثير والتوجيه والإقناع من خلال التفنيد أو الحثّ أو الدّعم دون تعسّف أو إكراه. والحجاج عنوان كبير لممارسات فكرية نشطة تسري إلى كافّة مناحي الحياة وعند الجميع من أبسط الناس مستوى إلى أكثرهم لدداً وقوّة في الخصومة» (الزبيدي، ٢٠١٧: ٣٣٤). الإقناع والتأثير ممارسة بين طرفين؛ أحدهما يريد التأثير في الآخر، ولما كانت هذه الممارسة أمراً قائماً في الحياة البشرية منذ نشأ وعلى اختلاف أماكن وجودها وتنوّعها، وفي مختلف أطُرها وتراكيبها الاجتماعية، فإنّ الاهتمام به جاء على قدر ذلك، إذ نلحظ تناوله في علوم وتخصّصات متعدّدة. وبالنظر المتأنّي إلى بعض التناولات والاهتمامات العلمية والبحثية في أساليب الإقناع والتأثير وممارساته، فإنّنا نجد أنّ الخلفيّات الفكرية والعقائديّة والثقافيّة تؤثّر تأثيراً بالغاً في ذلك. وهو «إستراتيجية تواصلية تسعى إلى التأثير في الآخر بالاعتماد على تمثّلات حجاجيّة تكون في شكل أفكار وآراء، وبهذا المعنى يصبح الحِجاج شكلاً أو نظاماً تواصلياً يتفاعل فيه ما هو لفظي بما هو غير لفظي، وسيلته اللّغة وغايته الإقناع» (سعدون، ٢٠١٢: ٦٨). إنّ بنية الحجاج هي أكثر بنية يمكن الاشتغال عليها في الخطاب لما فيها من قضايا مطروحة على سبيل إلقاء الحجة وتأكيد المطلب من قبلها على أنه مطلب حقّ.

خلفيّة البحث:

نوقشت وشرحت رسائل الإمام سابقاً كما درست خطاباته وحكمه في النهج البلاغة، من هذه الدّراسات، كتاب تحت عنوان "رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة دراسة حجاجية" للباحثين الزبيدي ورائد مجيد جبّار قد صدر من مؤسسة علوم نهج البلاغة التابعة للعتبة

www.SID.ir

Archive of SID

الحسينية وأطروحات جامعيّة مرتبطة ببحثنا مثل رسالة ماجستير للباحث رائد حاكم الكعبي "بلاغة الإقناع، قراءة حجاجية في خطب الإمام الحسين عليه السلام". لكن الدّراسات السابقة في رسائل الإمام كانت شرحا أو تفسيراً وإن كانت في مجال الإقناع والحجاج انتهجت تطبيقاً لبعض رسائل الإمام كنماذج ولكن دراسة رسالة الإمام في جوابه لمعاوية أي رسالة ٢٨ لنهج البلاغة، لا تدرس بمفردها تحت إطار نظريات الإقناع والحجاج، فلهذا قمنا بشرح هذه الرّسالة تطبيقياً من جانبها الإقناعي والحجاجي لعرض جانب آخر من بلاغة الإمام وأسلوبه الفريد في الردّ والجواب.

أسئلة البحث:

١. ما الأساليب التي اتّخذها الإمام في الردّ على معاوية؟
٢. إلى أيّ مدى كان الإمام ناجحاً في الردّ على معاوية؟
٣. كيف ظهرت رسالة الإمام في منهج التواصل؟
٤. ما هو الهدف الأساس من هذه الدّراسة؟

الأهداف المنشودة:

١. اتّخذ الإمام أساليب الإقناع والحجاج في ردّه على معاوية ومنها الوصل السببي، السؤال البلاغي، القسم، إنكار التوبيخ.
٢. كان موقف الإمام في الردّ حازماً، مدروساً، قوياً باستخدامه الأساليب الحجاجيّة المتنوّعة.
٣. كانت رسالة الإمام جواباً قاطعا، محكّماً مقروناً بالاستدلالات المقنعة التي تدلّ على فراسته الكلامية وقوّة بلاغته القرآنية أسلوبياً.
٤. هذه الدّراسة تهدف إلى إيجاد نظرة عميقة لقارئ رسائل الإمام وتعطيه انطباع جديد في رؤيته لرسالة الإمام هذه.

منهج البحث:

قد تتبّعنا في دراسة هذه الرّسالة، المنهج الوصفي- التحليلي ومن منظار نظرية بعض اللسانيين مثل ديكرو وسورن وبرلمان بما يناسب عنوان المقال والهدف منه، وقد انقسم البحث إلي إطارين النظري، والتطبيقي؛ تطرقنا إلي تعريف الإقناع كتقنية تواصلية

www.SID.ir

Archive of SID

اجتماعية في الإطار النظري وأنه من ضمن مباحث تداولية اللغة، ثم جئنا بما يشمل البحث من الروابط والعوامل الحجاجيّة والتوجيهات المرتبطة بتداولية اللغة وفي الإطار التطبيقي قمنا بتعريف وتطبيق كل من هذه الروابط والعوامل الحجاجية وما جاءت به التداولية لبيان وشرح رسالة ٢٨ من نهج البلاغة.

الإطار النظري

لقد عني الباحثون بدراسة اللغة وفقاً لاتّجاهين رئيسيين: الاتجاه الشكلي، الذي قعد العرب من خلاله لعلمي النحو والصرف، وتمثّل عند الغربيين في اللّسانيات الصّارمة، التي تعني بدراسة النظام اللغوي، معزولاً عن سياق التواصل الاجتماعي وهناك اتجاه آخر، وهو الاتجاه التواصلي الذي يدرس اللغة من خلال المنجز اللفظي في سياق معين، وقد تمثّل هذا الاتجاه في مناهج كثيرة منها: تحليل الخطاب، اللّسانيات الاجتماعية واللّسانيات التداولية. إن للغة عدّة وظائف، من أهمّها الوظيفة التواصلية، التي من شأنها أن تحافظ علي حياة اللغة، لأنّ اللغة تعيش بالتداول، وبغيره لا حياة لها، ولا تكون اللغة لغة، إلا إذا عاشت بين أحضان المجتمع. (جان كاني، ٢٠٠٦: ١١) إن توسع التواصل الذي يحصل بين شخصين، يصبح تواصلاً اجتماعياً، يدور بين أفراد المجتمع ككلّ. من هذا المنطلق ضمنت اللّسانيات التداولية التي تسعى في الإطار التواصلي للغة قضية الإقناع والحجاج لتبيين الفكرة والعمل التواصلي في اللسانيات الاجتماعية بين جماعات أو بين شخصين، يعتبر الإقناع من أهمّ وظائف التواصل وغاياته، حتى أنّ البلاغة العربية جاءت من أجل «التواصل والإمتاع» (مفتاح، ٢٠٠١: ٣٨)، حيث جعلت الإقناع من بين الوظائف التي من أجلها وضعت البلاغة العربية، «والإقناع، هو أحد طرفي العلاقة بين رسالة هادفة إلى توجيه الفكر أو الاعتقاد، وطرفها الآخر وهو الإقناع، وهذان الطرفان متلازمان وجوداً أو عدماً، فلا وجود للاقتناع دون وجود الإقناع» (استيتية، ٢٠٠٥: ٧٠٠-٧٠١)؛ لأنّ الاقتناع يكون من طرف المرسل إليه/ المتلقى، والإقناع يكون من طرف الأول وهو المرسل/ المتلقى، فإن لم يكن الأول فلا وجود للثاني. إن البلاغة تقوم علي الإفهام و«الإقناع، والإقناع هو قوام المعاني الخطابية»، وحتى يكون الخطيب مقنعا للمستمع، لابد أن يرد كلامه «على جهة الاحتجاج والاستدلال» سمح التطور الذي شهده علم اللسانيات منذ بداية القرن العشرين، وانفتاحه على حقول معرفية متنوعة، منها حقل المنطق، بروز توجّه جديد في المباحث الحجاجية، تأسّس مع أطروحات اللغوي الفرنسي

www.SID.ir

Archive of SID

اوزفالد ديكرو وزميله انسكومير سنة ١٩٧٣م، حيث وضعا نظريتهما اللّسانية التي تهتمّ بالوسائل اللغوية، وبإمكانات اللّغات الطبيعية التي يتوفّر عليها المتكلّم، وذلك بقصد توجيه خطابة وجهة ما تمكّنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية فهذه العملية تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها «إننا نتكلّم من أجل التأثير» (بوزناشه، ٢٠١٠: ٥٦). تضطلع نظرية الحجاج عند ديكرو بمهمّة «إنجاز لعمليتين هما التصريح بالحجة من جهة وعمل الاستنتاج من جهة أخرى، سواء كانت النتيجة مصرّح بها أم مضمّنة (بوزناشه، ٢٠١٠: ٦٣). وفي كلتا الحالتين التصريح بالنتيجة أو إخفاؤها من قبل المتكلّم يستلزم على المتلقّي استنتاجها من بنيتها اللغوية، شريطة أن يتمّ التوصل إلى هذه النتيجة الضمنية سهلاً يسيراً.

التداولية المدمّجة:

كما تميّزت أبحاث ديكرو أيضاً من خلال رفضه التصوّر القائم على الفصل بين الدلالة والتداولية، فقد شكّل التقاء الدلالات والتداوليات مجالاً لأبحاثه في اللّغة فمجال البحث عنده هو الجزء التداولي المدمّج في الدلالة، لذا تنضوي نظرية ديكرو تحت ما يسمّى في اللسانيات الحديثة بـ(التداولية المدمّجة) التي «تبحث في القوانين التي تحكم الخطاب داخليا لاكتشاف منطق اللغة» (بوقره، ٢٠٠٥: ٣٥٣).

الروابط والعوامل الحجاجية:

ارتبط مفهوم الروابط والعوامل في الدّراسات السابقة بالمباحث والدّراسات النحوية والدلالية دون النظر إلى وظيفتها الحجاجية والتداولية، إذ اعتبر بعض الدارسين «إن دورها لا يتجاوز الربط بين الجمل والقضايا، أمّا بعدها الحجاجي والتداولي فقد برز مع ديكرو في إطار صياغته للتداولية المدمجة وهي نظرية التداولية التي تشكل جزءا من النظرية الدلالية» (بلخير، ٢٠٠٠: ١٩٩).

الروابط الحجاجية تربط بين قولين أو بين حجتين على الأصحّ (أو أكثر) وتسند لكل قول دورا محددا داخل الإستراتجية الحجاجية العامة» (بوزناشة، ٢٠١٠: ١٤) تنقسم الروابط الحجاجية إلى:

أ) روابط مدرّجة لحجج وتسمّى بالوصل السببي مثل: حتى، فاء، لكن، لأن.

ب) الروابط المدرّجة للنتائج مثل: إذن، لهذا، وبالتالي..

ج) روابط التعارض الحجاجي من قبيل: بل، لكن، مع ذلك...

www.SID.ir

Archive of SID

أمّا العوامل الحجاجية فهي لا ترتبط بين حجة ونتيجة، أو بين مجموعة حجج، بل تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية لقول ما، من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلاً، كثيراً، ما، إلا.. وكل أدوات القصر (بلخير، ٢٠٠٠: ٦٤).

ونحن درسنا في هذه الدراسة نماذج من التقنيات الحجاجية مثل طرائق الوصل وبما أن الروابط اللّغوية تسهم في انسجام الخطاب وتماسكه من خلال ربطها بين القيمة الحجاجية لقول ما وبين النتيجة أي الربط بين قضيتين وترتيب أجزاء القول ومنحها القوة المطلوبة بوصف هذه القضايا حججاية في الخطاب درسنا بعضها وهي: روابط التعليل الحجاجي (الوصل السببي) وروابط التعارض الحجاجي (لكن) وروابط التساوق الحجاجي (حتى) وقد ساهمت هذه الروابط مساهمة فعّالة في تأطير الحجاج في رسالة الإمام هذه بالخاصية الحجاجية اللّغوية.

الموجّهات الحجاجية:

التوجيه من المفاهيم التي تنفتح وتلتقي عندها حقول معرفية متعددة والذي يهمنا التوجيه الذي تبناه اللسانيون المحدثون وقد أدّت دراسة القوة الانجازية لأفعال الكلام إلي دراسة الموجهات (علاقة الموجهات بأفعال اللغة)، والتوجيه حكم على حكم أي أنه حكم من الدّرجة الثانية فيدخل فعل التوجيه ضمن واحد ممّن أنواع الأفعال اللغوية التي صاغها سورل وقد سمّاها بالأفعال التوجيهية وتتحدّد بأنّها« كلّ المحاولات الخطابية التي يقوم بها المرسل بدرجات مختلفة للتأثير في المرسل إليه ليقوم بعمل معين في المستقبل» (الشهري، ٢٠٠٤: ٣٣٦) وتتعدّد الأفعال التي تدخل في صنف الانجاز والتوجيه ومنها : الأوامر، والطلبات، والاقتراحات، والنصائح ولكي يحقّق المرسل فعل التوجيه في الخطاب فانه يستعين بأدوات أخري وآليات مختلفة منها: أساليب الأمر، والنهي والتحذير والإغراء والروابط والعوامل الحجاجية (الشهري، ٢٠٠٤: ٣٣٧) ولدينا موجّهات يقينية وهي التي تعدّ الضمان لحقيقة الكلام ولإمكان أن يكون هذا الكلام مقنعاً علي الرغم من اصطباغه بالذّاتية ذلك أن الإقناع يحصل لدي المتلقّي بمجرّد إن القضية المعروضة عليه جاءت موجهة توجه إثبات (صولة، ٢٠٠٧: ٣٢٠). وبما أنّ رسائل الإمام ومنها هذه الرسالة حافلة بالتوجيهات الكلامية واليقينية منها وحتى الموجّهات الشكلية ولضيق المجال تطرّقنا للموجّهات اليقينية وعواملها الدّاعمة ودرسنا نماذج منها وهي: فعل التوجيه، القسم والتقرير وإنكار التوبيخ والترجيح والتعليل والاستشهاد بالمثل والآيات القرآنية.

www.SID.ir

Archive of SID

المجال التطبيقي

التقنيات الحجاجيّة:

طرائق الوصل: وهي الطرائق التي تقرب بين العناصر المتباينة في أصل وجودها فتنتج بذلك قيام ضرب من التضامن بينهما لغاية إبراز تلك العناصر في بنية واضحة ولغاية تقديم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقديماً ايجابياً أو سلبياً، وقد تمّ تصنيف هذا النوع من الطّرائق إلى تقنيات حجاجيّة عديدة منها:

الحجج شبه المنطقية:

وهي حجج تكتسب طاقتها وقوّتها الإقناعية من مقاربتها أو مشابهتها للبنى المنطقية والرياضية في البرهنة، ولكنها تنأى بنفسها عن التطرّف باتجاه الصّرامة المنطقية الخالصة، إذ يمكن ترد بيُسر بدعوى إنها ليست منطقية. وفي هذا الشأن يرى "برلمان" في تفصيل هذه الحجج إنها حجج تدعي قدراً محدّداً من اليقين من جهة أنَّها تبدو شبيهة بالاستدلالات الشكلية المنطقية أو الرّياضية ومع ذلك فإنّ من يخضعها إلى التحليل ينتبه في وقت قصير إلى الاختلافات بين هذه الحجج والبراهين الشكليّة، لأنَّ جهدا يبذل في الاختزال أو التدقيق فحسب، يكون ذا طبيعة لا صورية، يسمح بمنح هذه الحجج مظهراً برهانياً ولهذا السّبب ننعتها بأنها شبه منطقية وتنقسم هذه الحجج شبه المنطقية على:

الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية:

وتتمثّل هذه الحجج في حجّة التناقض وعدم الاتفاق والتماثل والحدّ، والحجج القائمة على العلاقة التبادلية (الدريدي، ٢٠١١: ١٩١) كما نرى في قول الإمام هذا حجج قائمة على علاقة تبادلية: «أَلَا تَرَى غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحَدِّثُ أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ، حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ. أَوَ لَا تَرَى أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ، حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ قِيلَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُوالْجَنَاحَيْنِ؛ وَلَوْ لَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ؛ فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ؛ فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا» (نهج البلاغة، الرسالة ٢٨).

www.SID.ir

Archive of SID

حيث جعل الإمام مكانة الشهداء المهاجرين والأنصار وألقابهم مكان ما فضل معاوية من الذين ذكرهم في قوله هذا: «وَ زَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فُلَانٌ وَفُلَان» يحاجج الإمام بحجج منطقية بديهية فلقد يعلم كل الناس مكانة شهداء الإسلام الذين ذكرهم الإمام دليلاً وحجّة وبرهاناً لما سند به معاوية. إنّ الامام استخدم الإبهام والتنكير في (فلان) دلالة على صغرهم والاستهانة بهم مقابل التعريف بأسماء المهاجرين وغيرهم من المسلمين الأوائل.

الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية:

وتتمثّل هذه الحجج في حجة التّعدية وتقسيم الكلّ على أجزائه المكوّنة له وكذلك إدماج الجزء في الكلّ، ويرمى هذا النوع من الحجج إلى صحّة الموضوع ومشروعيّته بفعل ما لها من بُعد عقلاني تستمدّه من علاقتها ببعض الصّيغ المنطقية والرّياضية. تعتمد هذه الحجج على الواقع في تأسيس وإقامة علائقها الإقناعية، إذ تستخدم الحجج شبه المنطقية للرّبط بين أحكام مسلّم بها، وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها (علوي، ٢٠١٢: ٣٣٢)، وتنعكس في قول الإمام هذا: «وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلَافِ وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وعَلَيْكُمْ؛ فَإِسْلَامُنَا [مَا] قَدْ سُمِعَ وَجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ وَكِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى "وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ" وَقَوْلُهُ تَعَالَى "إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ» (نهج البلاغة، الرسالة ٢٨). وفيه يحاول المحتجّ الإيحاء والإحاطة بالموضوع لصرف نظر المستمع إلى البحث والتقصي، قال الجاحظ: "فعجب الناس من حسن ما قسّم وفصّل" وهذا العجب هو المطلوب هنا لأنه يسهّل الإقناع (الجاحظ، لا تا: ١٠٨). إذ ذكر الإمام الأدلّة وجزّءها وبيّن الحجج الواضحة والمنطقيّة في نسبه ومن يكون منسوب للأمام وما سبق له، ولأبناءه من مآثر في الإسلام، ثمّ من يكون منسوباً إلى معاوية، إنما تكون استدلالات مرتّبة ومتوالية بحرف عطف الواو، حيث يشدّ البناء ويستحكم الجواب ويفرض الإقناع. ولأنّ هذه الحجج بديهيّة؛ ولأنّ الكلّ يعرف نسبة الإمام للنبيّ ﷺ ويعرف تاريخ أهل البيت ومكانتهم وكذلك يعرف الناس، معاوية وتاريخ أجداده ونسبه وقبائح أعمال أهله وأعماله، فإنها تكون حجج بديهية، لهذا تسمّى مثل هذه الحجج والإقناعات بالحجج "الشّبه رياضية" كالمعادلات الرياضية التي اتفق على صحّتها جميع الناس فمكانة أهل البيت اتفق عليها كذلك جميع الناس ولا شك في صحّتها. فحجاجيّة هذا الكلام تكمن في براعة

www.SID.ir

Archive of SID

تقسيم المراتب ورؤيتها لمعاوية وما حوله وعلاقته بالدّين، إذ يبعث هذا التقسيم والتقصّي الإذعان والإدهاش. فالإمام وظّف هذه الحجّة لكي يقنع المجتمع بالإضافة إلى معاوية، بأنّ خلافة بني أمية تهدف المنافع الذاتية؛ لأن الأمويين لم يكونوا خالصين في دينهم وإسلامهم كما كان آبائهم كذلك،خلافة واهية لا تصلح لبناء مجتمع إسلامي رصين. فقد سلّط الإمام هذه الرّسالة المباركة على إظهار باطن الأمويين وتبين ماضيهم وحالهم ومستقبلهم المتقلّب ولقد بين الفرق بين أهل الحق وأهل الباطل. إذ أن حجاجيّتها تظهر من خلال هذا التفصيل البليغ الذي صرّح به الإمام وقام بحصر أوصاف وألقاب أهله وألقاب الأمويين ودرجاتهم المتدنّية. تتجلى لنا إحاطة الإمام بتفاصيله، إلى أن يتسنّى للمتلقّي إدراك الحقيقة بوضوح تامّ، وهذا التصوير يرفد الكلام نحو الاستمالة والتأثير، وييسر على المتكلّم ما يرومه من نفاذ إلى عوالم المتلقي الفكرية والشعورية والفعل فيها.

الروابط الحجاجيّة

الوصل السّببي:

الوصل السّببي هو من أدوات التعليل التي يعمد المخاطب الإتيان به للرّبط بين أحداث متتابعة مثل الرّبط بما يمكن أن يكون المقدّمة والنتيجة فتصبح النتيجة مقدّمة لنتيجة أخرى. وهذا الرّبط السّببي التعليلي يمنح النصّ بُعداً اتّساقياً تماسكياً بفعل مبدأ التدرّج في إيراد الحجج ومن ثمّ يعطي النصّ البعد التواصلي وسرعة الاستجابة والتأثير. وقد يعتمد الوصل السّببي على نوعين من الأدوات السببية هما: الأدوات الملفوظة الدالّة على السّبب والتعليل مثل الفاء، ولأنَّ، وحيث. أمّا النوع الآخر من الأدوات، فهي الأدوات المقدّرة التي تتمثّل برصد العلاقات السّببية المنطقية الناتجة عن التعالق بين الجمل أو الحجج وهذا ما أسماه"جان كوهين" ب"الرّبط بالقِران" أو ما يسمّيه"برلمان" بـ"حجّة التعدية" ونسمّيه بـ"التوالد الحجاجي" (كوهن، ١٩٨٦: ٣٥٠).

بدأ الإمام الرّسالة بقول معاوية ثم أبدى عجبه، فعجب الإمام يكون نتيجة ما ذكر معاوية مما قال أن الله اصطفى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ويؤيد من أيّده من الصّحابه، حيث يخبر معاويةُ الإمامَ بما أنعم الله عليهم وهو اصطفاء الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ثمّ ليرُدّ على معاوية بقوّة، جاء باستدلال اقناعي، باستخدام مثلين، إذن عجب الإمام نتيجة لمقدّمة جاء بها معاوية وهي اخبار الإمام باصطفاء الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم من الله. وإتيان الإمام بأمثال لتقوية النتيجة وتبرهنها باستدلالات تمثيلية لا تكون إلا ردّاً على تمادي معاوية في كلامه. وقد وردت هذه

www.SID.ir

Archive of SID

الحجج بصورة متدرّجة ومرتّبة لغرض الإفهام والإقناع بأداة تأكيدية مثل الفاء ولقد. فهذه العلاقات السّببية قد تضمّنت روابط قارّة في البنية الدّلالية العميقة للنصّ التي تتجسّد في الرّبط شبه المنطقي للحجج مع ما أفاده الرّابط الحجاجي (الواو) من تآزر وتقارب بين الحجج وتقويتها في بيانه هذا. وفي قوله: «وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ؛ وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ، وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ؟! هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا وطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا» (نهج البلاغة، الرسالة ٢٨).

ولعلّ في هذا التسلسل أو التدرّج أو التّتابع في إيراد هذه الحجج ما يدفع باتّجاه تحقيق الإقناع؛ لأنَّ العبور من المقدّمة الأصليّة إلى النتيجة المتأخّرة الكليّة دفعة واحدة، من شأنه أن يضعف من قوّة الإقناع والتأثير في إقامة الاستدلال بين المقدّمة الأولى والنتيجة المتأخّرة، وبيان التداعي الذي تحدثه الحجج، حدا بالإمام إلى التفصيل والتوضيح وصولاً إلى بناء نصّ حجاجي ناجح ومؤثر ومُقنع.

يتبيّن أنّ الحجاج الوارد بالوصل السّببي قد ورد عبر صيغة شرطية مضمرة وهي «إن تمّ اعتزلك كلّه وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ» فنلاحظ إنّ العلّة تدور مع المعلول فتسفر الحجج هنا عن تسلسل منطقي يتمّ التنقّل بين المقدمة والنتيجة. والأصل في هذا القانون الحجاجي هو أنها قاعدة تخاطبية مقتضاها أنّ المتكلم يخبر المخاطب بأقصى ما يمكن من الفائدة فيصير هذا الأخير إلى حمل قوله على إفادة أنَّ العلاقة بين المقدّم، والتالي علاقة شرطية طرديا وعكسيا لا طرداً فحسب.

روابط العطف الحجاجي

إضافةً إلى ما ذكرناه من روابط حجاجية تظهر مجموعة من الحروف تضطلع ببُعد حجاجي مهمّ من خلال ربطهما بين الحجج والنتائج والتنسيق بينهما من أجل التعليل والتفسير والتبرير ومن هذه الروابط أحرف العطف (الواو، والفاء، وثُمَّ) إذ تقوم بدور حجاجي كبير، فبالإضافة إلى قيامها بالرّبط بين قضيتين (حجّتين) لنتيجة واحدة ووصفها سلّماً حجاجياً يضع هذه الحجج إلى تراتبية معيّنة بحسب قوّتها في دعم النتيجة النهائية، فإنها تسهم أيضاً في بداعة المعنى المقصود وخاصّة إذا استعمل كلّ حرف واستغلت وظيفته في الموضع

www.SID.ir

Archive of SID

المناسب فذلك يزيد من الإثبات على المعنى من جهة ويلقي على الخطاب نوعاً من التنظيم والانسجام من جهة أخرى (يعمرانن، ٢٠١٢: ٩٣). وفي بيان الإمام هذا نشاهد هذا التسلسل والإنسجام حيث استقوت البُنى في الردّ والإقناع «وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ، وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ» يوجد الإنسجام من تتبّع الكلمات بواسطة حرف الواو حيث أصفى على هذه الجمل جواً من الإقناع المبهر بقوّة اتصال الكلمات الحجاجية التي تهدف إلى إثبات مكانة معاوية الدنيئة، فهو لايصلح لأن يكون في مكانة الشخص الذي يميّز الناس.

روابط التعارض الحجاجي

الرّابط الحجاجي (لكن):

وهي من الأدوات التي حدّدها النحويون العرب لنفي كلام واثبات غيره وهو حرف استدراك، ومعنى الاستدراك أن تنسب حكماً لإسمها يخالف المحكوم عليه قبلها، كأنك لما أخبرت عن الأول بخبر خفت أن يتوهّم من الثاني مثل ذلك فتداركت بخبره إن سلبا وإن إيجابا . ولاتقع لكن إلا بين متنافيين بوجه ما. كما فصّل الزمخشري ذلك في بيان أنّ (لكن) تتوسّط بين كلامين متقاربين نفياً وإيجاباً فيستدرك النفي بالإيجاب، والإيجاب بالنفي نحو: "ما جاءني زيد لكنَّ عمراً جاءني أو جاءني زيد لكنَّ عمراً لم يجئ". ومن هذا المنطلق فإنّ هذه الأداة تقيم علاقة ربط بين قولين متناقضين أو متنافيين هو من الناحية الحجاجية ربط حجاجي تداولي بين المعطى والنتيجة. ويشير الوصف الحجاجي الذي يقدّمه أصحاب النظرية الحجاجية للأداة (لكن) إلى: أن التلفّظ بأقوال من نمط لكن يستلزم أمرين اثنين:

١. إنّ المتكلّم يقدّم (أ) و(ب) باعتبارهما حجّتين، الحجّة الأولى موجّهة نحو نتيجة معيّنة (ن)، والحجّة الثانية موجّهة نحو النتيجة المضادّة لها أي (لا، ن).

٢. إنّ المتكلّم يقدّم الحجّة الثانية باعتبارها الحجّة الأقوى وباعتبارها توجّه القول أو الخطاب برمّته (الزبيدي، ٢٠١٢: ١٠٨-١٠٩).

«أَلَا تَرَى غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحَدِّثُ أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ، حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ. أَوَ لَا تَرَى أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ، حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ قِيلَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ؛ وَلَوْ

www.SID.ir

Archive of SID

لَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ؛ فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ» (نهج البلاغة، الرسالة ٢٨).

إنّ الرابط الحجاجي (لكن) عمل تعارضاً حجاجياً بين ما تقدّمه وما تأخّر عنه، فالقسم الأول الذي سبق الرابط قد تضمّن حجّة تخدم نتيجة ضمنية من قبيل "أنّ ذكر هذه الفضائل لا تكون تفاخراً من الإمام" أو "الإمام لا يريد إخبار معاوية بفضائل ومناقب أهل بيته، لعرفان معاوية التام لهذه الفضائل"؛ أمّا القسم الثاني، الذي جاء بعد الرابط فقد تضمّن حجّة تخدم نتيجة مضادة للنتيجة السابقة، أي تخدم نتيجة من نمط بيان الإمام لفضائل أهل البيت وعدّ هذه الفضائل والنعم للشكر من الخالق، منها استشهاد جماعة من الأنصار والمهاجرين استشهاد حمزه عمّ الرسول ﷺ وبما أنّ الغاية التي أراد الإمام إيضاحها تكمن في القسم الثاني من كلامه، فإنّ الحجّة الثانية أقوى من الحجّة الأولى، فهي ستوجّه القول برمّته نحو تبني النتيجة الضمنية المضادّة. وبذلك يكون ما قبل"لكن "منفي وما أحدثه الرّابط حتى هو الاستدراك وهو رفع ما يتوهم ثبوته. وهنا لابد من التأكيد على أنّ الاستدراك، وهو ما ذهب إليه عباس حسن: «إبعاد معنى فرعي يخطر على البال عند فهم المعنى الأصلي لكلام مسموع أو مكتوب» ولذلك نجد أن الاستدراك لا يتقيّد عند حدود النصّ بحيث يقوم بإبعاد معنى فرعي يخطر على البال عند فهم المعنى الأصلي الواقع قبل الرابط؛ بل هو دفع ونفي لمعنى قائم في الواقع يعتقده المخاطب (الزبيدي، ٢٠١٢: ١٠٩). وفي خضمّ هذه الاستدلالات الحجاجية التي أتاحتها عناصر الرّبط الحجاجي ينبغي الإشارة إلى أن التراتيبية الحجاجية والتدرّجية التي منحها الرابط "الواو" إلى الحجج قد أثبتت قوّة النتيجة.

روابط التساوق الحجاجي

الرابط الحجاجي (حتى):

في هذه القسم من الرّسالة: «حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ». جاء الرّابط"حتى" لإثبات قوّة الحجة بالنتيجة. "يبرز الرابط الحجاجي" حتى" كمؤشر حجاجيّ بارز ويكتسب هذا الرابط أهميّته من علاقته الواضحة والقويّة مع المعنى الضمني والمضمر، إذ أنّ دوره لا يقتصر على إضافة معلومة جديدة إلى سياق الجملة بل إنّ دور هذا الرابط يتمثّل في إدراج حجة جديدة تردف الحجّة التي تسبقها وتساوقها والحجّتان تخدمان نتيجة واحدة لكن بدرجات متفاوتة من حيث القوّة الحجاجية، فتتساوق

www.SID.ir

Archive of SID

الحجّتان في رفد النتيجة بالطاقة الحجاجية الفاعلة، ولكن تبقى الحجة التي يأتي بها الرابط "حتى" هي أقوى من الحجة التي سبقتها، أي أن يكون ما بعدها غاية لما قبلها ولذا أقر "ديكرو" بأنّ «الحجّة المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي إنها تخدم نتيجة واحدة والحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى لذلك فإنّ القول المشتمل على الأداة"حتى" لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي» (الناجح، ٢٠١١: ٢٧).

والنتيجة هي التي حصلت من استشهاد جماعة من المهاجرين والأنصار ثمّ من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعمّه واختصاص لقب "سيد الشهداء" من جانب النبي صلى الله عليه وآله وسلم . أمّا الاستدراك فكان لبيان حقيقة إستشهادهم في سبيل الله وهناك فرق بين من فضلهم عند الله وبين ما سبق لآل أميّة من عداوتهم للإسلام. وبذلك نقرّر مبدءاً حجاجياً من قبيل «من لم يصحّ إسلامه، ظاهراً، أو من لم يصحّ إيمانه بمقتضى شروط الإسلام/ وبين المسلمين المجاهدين في سبيل الله باستشهادهم» وإن بدئنا بعدٍّ الفضائل من فضيلة الإستشهاد، فالفضل الكبير لأهل الإمام لأنّ حمزة هو الشهيد منهم، فتفضيل الإمام شهداء آل الرسول على باقي الشهداء نفي مشاركة معاوية وأهله في الإسلام والجهاد والشهادة وهذه النتيجة الحجاجية أقوى من تلك النتائج. فالرابط"حتى" بالرغم من تعدّد الغايات الاستعمالية له في هذا المثال التي تتبين لنا نتيجة لتعدّد زوايا النظر والقراءة له فهو جاء من أجل تحقيق غايات حجاجية إقناعية. إنّ الحجّة التي أتت بعد الرابط حتّى، غاية لما قبلها وكما يذهب النحاة العرب إلى أن من شروط هذه الغاية أن يكون ما بعدها في زيادة أو نقص والزيادة تشمل القوة والتعظيم والنقص يشمل الضعف والتحقير، ومادام المقام هنا في كلام الإمام هو مقام توجيه وإعلاء وتعظيم لقيمة الشهادة باختصاص مقام "سيد الشهداء" للشهيد من أهل البيت وتعظيم شأن شهداء أهل البيت بتكبير وصلوات الرسول في صلاته عليهم حين الاستشهاد.

الموجّهات الحجاجيّة

فعل التوجيه:

يدخل فعل التوجيه ضمن واحد من أنواع الأفعال اللّغوية التي صاغها "سورل" وقد سمّها بالأفعال التوجيهية وتتحدّد بأنها «كلّ المحاولات الخطابية التي يقوم بها المرسل بدرجات مختلفة للتأثير في المرسل إليه ليقوم بعمل معيّن في المستقبل». وتتعدّد الأفعال التي تدخل في صنف الإنجاز والتوجيه ومنها: الأوامر، والطّلبات، والاقتراحات، والنّصائح. ولكي يحقّق

www.SID.ir

Archive of SID

المرسل فعل التوجيه في الخطاب يستعين بأدوات أخرى وآليات مختلفة منها: أساليب الأمر، والنهي والتحذير، والإغراء، والروابط، والعوامل الحجاجية، وذلك بالاستناد إلى دور السّياق والمقام. فالأفعال التوجيهية تعبّر عن توجّه المرسل إلى أن ينفّذ المرسل إليه بعض الأفعال في المستقبل، كما أنها تعبر عن رغبة المرسل، أو أمنيّته بأن يكون خطابه أو بأن تؤخذ إرادته التي انطوى عليها خطابه على أنها هي السّبب الرئيس أو الدافع الحقيقي في الفعل الذي سوف يأتي به المرسل إليه ولا يُعدّ التوجيه فعلاً لغوياً فحسب، بل هو يعدّ وظيفة من وظائف اللّغة التي تعنى بالعلاقات الشخصية حسب تصنيف المستقبل (الزبيدي، ٢٠١٢: ١٥٢). لذلك نجد أنّ رسائل الإمام قد اصطبغت بمجموعة من الموجّهات الحجاجية التي تحقّق الإقناع والتأثير، ومن ثم توجيه المتلقّي نحو فعل ما أو تركه (الإقناع أو الإذعان) وفيما يلي بيان لأهمّ الموجّهات الحجاجية التي كان لها حضور بارز في تشكيل الخطاب الذي وجّهه أميرالمؤمنين عليه السلام: «أَلَا تَرْبَعُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ظَلَعِكَ وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ الْ قَدَرُ؟ فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ وَلَا ظَفَرُ الظَّافِرِ؟ [فَإِنَّكَ] وَإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيهِ، رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ». قد حذّر ونبّه الإمام معاوية في هذا الخطاب بأسلوب التحضيض والسؤال الإنكاري وقام بتقريعه على قبح فعله بحرف ألا ونداءه "بأيّها الإنسان" وبأسلوب أمري سيطر على كلّ العبارة وعمد إلى الإنكار في عبارة "فما عليك غلبة المغلوب في ولا ظفر الظّافر".

الاستشهاد بالمثل:

المثل في الخطابة مقام الاستقراء في المنطق، فالمثل استقراء بلاغي، والمثل «حجّة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدّمتهما، ويراد استنتاج نهاية أحديهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها» (العمري، ٢٠٠٢: ٩٠)، كما انتبه الدارسون والبلاغيون العرب على أهميّة المثل في إحداث الإقناع، فإنّ الحكماء والعلماء والأدباء لم يزالوا يضربون ويبيّنون للناس تصرّف الأحوال بالنظائر والأشكال، ويرون هذا النوع من القول أنجع مطلباً لقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ**﴾ (الروم/٥٨) (الكعبي، ٢٠١٤: ٣٩). ولاشكّ أنّ الخطيب يستحضر الأمثال للتأثير في المتلقّي، لأنّها تؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشئ في نفسه، وذلك لأنّ الغرض من المثل تشبيه الخفيّ بالجليّ، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيّته، ويصير الحسّ مطابقاً للعقل، وذلك في نهاية الإيضاح ولقد وظف الإمام في هذا القسم من رسالته الأمثال لتقوية الجواب والاحتجاج المؤثر في مخاطبه «كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النِّضَالِ»؛ فبعدما أبدى الإمام عجبه من

www.SID.ir

Archive of SID

كلام معاوية، أراد إحكام الجواب، لهذا استخدم مثلين ليبيّن ويثبت لمعاوية باطل كلامه وقبح نُصحه. وإنما ضرب المثلين ليؤدّي وظيفة الإقناع أو التأثير في المتلقّي ولتعميق المعنى. إذ شبّه الإمام عليه السلام عمل معاوية بمن يبعث التّمر إلى مدينة هجر وهي مدينة شُهرت بنخيلها الكثير ورونق تمرها. ثم أنّ الإمام وآله هم أهل الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم وآله وأعلم الناس باصطفاءه ومكانته عند الله؛ لهذا جاء بتشبيه آخر، حيث شبه معاوية بتلميذ يستدعي مدرّبه للمبارات والقتال ناوياً اختباره؛ فلقد نزّل الإمام معاوية إلى مستوى التلميذ، إذ سبّب استحكام الجواب والإقناع أكثر فأكثر. وما هذه الأمثلة إلا ليبيّن الإمام قبح كلام معاوية بعدما جاء بتوصيف الإسلام وعظمة الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ذلك أنّ الإمام أوّل من اعتنق الإسلام وهو القرين الدّائم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم . «لقد حنّ قدح ليس منها» حن بمعنى صوت وإذا كان أحد القداح من غير جوهر أخوانه ثم أجائه المفيض خرج صوت يخالف أصواتها فيعرف أنه ليس من جملة القداح مثل يضرب لمن يفتخر بغيره أو يضرب للرّجل يدخل نفسه في القوم وليس منهم أو يمتدح بالشيء ليس من أهله (ابن أبي الحديد، ٢٠٠١: ١٥٤/١) والإمام في منهجه الحجاجي مع معاوية اتّخذ هذا المثل ليقول له أنك تفتخر بالنبيّ ولكنك ليس منهم أو تفتخر بأشخاص لست مثلهم ولا متّخذ طريقتهم وسلوكهم. «وقد يستفيد الظنّة المتنصّح» قد تسرع التّهمة للناصح الشفيق والمتنصح المبالغ في النصيحة وضرب الإمام هذا المثال عندما قال أنه كان ناصحاً للخليفة عثمان ويريد له الخير وهم اتّهموه لهذه النصائح فحسب ورب نصوح يصبح في معرض الاتهام بسبب نصائحه. ومثالين آخرين استخدمهما الإمام في خاتمة رسالته لتحكيم الختام وهما«ربّ ملومٍ لاذنب له كم من شخص يلومونه» ومعناه ربّ أناسٍ يلامون عندما أنهم أبرياء لا يكون لهم أيّ ذنب. وهذا من أمثال العرب وأوّل من قاله "الأكثم الصّيفي". والمثل الآخر هو «وقد يستفيد الظنّة المتنصحُ» بمعنى رُبّ مُلحٍّ على نصيحةٍ يُتّهم وقيل أنّ هذه الجملة شطرٌ من شعر الرّياشي وصار مضرب المثل (تسترى، ١٣٧٦: ٦١١/٩).

الاستشهاد بالآيات القرآنية:

الشاهد في الخطابة العربية تضمين الآيات القرآنية والأحاديث وأبيات الشعر والأمثال والحكم، وهي حجج جاهزة تكتسب قوّتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها وتواترها ولذلك قال أرسطو: الشاهد هو بمثابة القوانين والشهود، والاعترافات وأقوال الحكماء. الحجاجيّة بتضمين آيات القرآن هي نوع من آليات الإقناع في الخطابات والرسائل الدينية، الحجة القرآنية ترجّح على ما سواها من الحجج الأُخر، لأنها برهان صادق وحجة قاطعة،

www.SID.ir

Archive of SID

ودليل يقينيّ التأليف قطعي الاستلزام، وهي تعمل على تثبيت المعاني في الأذهان (العمري، ٢٠٠٢: ٩٠). وقد وظّف الإمام هذه الحجّة ليحتجّ بها على خصومه ومنه معاوية،كما يدلّ على إحضار آيات القرآن في ذهن الإمام دائماً في قوله: «قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ» وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ»؛ فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ».

وهو في هذا التضمين يحوّل المعقول محسوساً، والغامض واضحاً، أو أنه يقوم بتشكيل بنية واقعية تسمح بإيجاد أو إثبات حقيقة عن طريق التمثيل، وبذلك يكون كلامه أكثر واقعية وإقناعاً. فالإمام أراد أن يدلّ ويبرهن بقرابته للنبيّ ﷺ من خلال ذكر آيات شاهدات بقول الرّحمن على أنه وآله أقرب الناس للنبيّ فهم الأقربون وهم الذين تجب إطاعتهم. فالإمام يأمر معاوية بإطاعة آل النبي أو بحجّة الردّ على معاوية. ويخاطب الناس والمسلمين أنهم أقرباء الرسول والإطاعة منهم أمر واجب لأن الله ذكر في القرآن مكانة أهل الرّسول ﷺ وأمر بإطاعتهم المسلمين جميعاً فمن خرج من إطاعتهم عدل عن الحق وديس بالباطل أمره كما غمر الباطل معاوية وأبناءه لما ابتعدوا من آل الرسول ولما عارضوهم. فاستشهاد الإمام بهذه الآية «كَلَّا وَاللَّهِ لَقَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا» وتوظيفه يشير إلى أنّ "يا معاوية إن خفيت مقتل عثمان وقضيّته فلا تستطيع إخفاءه من الله تعالى إذ طلب منك عثمان أن تعينه وأنت أبيتَ ولم تسأل عنه وسررت بقتله، بأمل أن تأخذ مكانه في الخلافة". فالحجّة القرآنية ترجّح على ما سواها من الحجج الأُخر، لأنها برهانٌ صادق وحجّة قاطعة، ودليل يقينيّ التأليف قطعيّ الاستلزام، وهي تعمل على تثبيت المعاني في الأذهان، وقد وظّف الإمام هذه الحجّة في هذه الرّسالة ليحتجّ بها على خصومة معاوية.

التقرير:

عرّف الزركشي "التقرير" المستفاد من مثل هذا الاستفهام بقوله: «والتقرير حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقرّ عنده» (الزركشي، ١٩٨٠: ٣٣١/٢). وهذا الاستقرار المشار إليه في تعريف الزركشي، يعنى أنّ القضية محلّ الاستفهام من معتقدات المستفهمين ومن عوالم إيمانهم وإنما سُئلوا عنها ليوجبوها وليصادقوا عليها من تلقاء أنفسهم حتى إذا ما حصلت المصادقة عليها من قبل المخاطبين كان ذلك وسيلة للترقّي درجة أخرى في سلّم

www.SID.ir

Archive of SID

الإقناع (صولة، ٢٠٠٧: ٤٣١). وهذه الآلية التي يستخدمها المستفهِم/صاحب الخطاب من أجل حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بما يقتضيه السؤال يمرّ بمرحلتين تعزّز إحداهما الأخرى ولا سبيل لإقامة إحداهما دون الأخرى وهما: التحقيق والتثبيت والثانية هي حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه وإلجاءه إلى ذلك الإقرار وإلزامه إياه. فأمّا التحقيق فالمراد به تحقيق النسبة وتثبيتها أي تثبيت المستفهم عنه المعلوم فلا يطمع المخاطب في الإنكار، وأمّا الحمل على الإقرار فهو طلب إقرار المخاطب به مع كون السائل يعلم فهو استفهام يقرر المخاطب أي يطلب منه أن يكون مقرا به (السبكي، ٢٠٠٣: ٥٤٨/١). «وَلاَ تَرَى أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ـ وَلكلّ فَضْلٌ ـ حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ قِيلَ: «الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وذُو الْجَنَاحَيْنِ يَطيرُ بِهِما فِى الْجَنَّةِ».

أو في قوله: «أَلاَ تَرَى غَيْرَ مُخْبِر لك، وَلكنْ بِنِعْمَةِ اللّهِ أُحَدِّثُ ـ أَنَّ قَوْما اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَلِكلّ فَضْلٌ، حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ: سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ وَخَصَّهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِسَبْعِينَ تَكبيرَةً عِنْدَ صَلاَتِهِ عَلَيْهِ» (نهج البلاغة، الرسالة ٢٨). يقدّم قول الإمام أنموذجاً للسؤال البلاغي الذي يهدف إلى حصول الإقرار من قبل المستفهم/ المخاطب بالجواب المحدّد حتى يثبت المستفهم عليه الحجّة التي تنطلق من حقيقة ثابتة يعلم بها طرفا الخطاب وهي حقيقة (الشهادة ودرجة الشهداء) فكان لجوء الإمام إلى الاستفهام رغم علمه بثبوت المطلوب هو شكل من أشكال الإلزام في إقامة الحجّة؛ لأنّ هذا الإقرار ليس من القضايا الغريبة عن المخاطب ولا هو بمنكر إيّاها أصلاً فهي من قبيل المشهورات والبديهيات التي تكون محل اتفاق وإقرار من قِبل المسلمين بحقيقة شهداء الإسلام وأن حمزة عمّ النبي لقب بسيد الشهداء من جانب الرسول وخصّه بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه وإنما وظّف الإمام السؤال ليكون مثبتاً لذلك الجواب المعترض محملاً بذلك مسؤلية الإثبات والإقرار لمخاطبه. والمقتضى هو الذي يعمل على تحصيل الإقرار من المخاطب بغية استمالته وإقناعة والتأثير فيه حتى يعود إلى رشده ويتقي الله في عباده.

القسم:

يعدّ القسم صنفاً من أصناف الفعل الكلامي التي توجّه القول توجيهاً يقينيا إثباتاً يلجا إليه المتكلّم لتوكيد كلامه فهو إذ يثبت القضيّة ويقيم في الوقت نفسه الحجّة وتأكيدها، وذلك أن الحكم يفصل بأثنين: إمّا بالشّهادة وإمّا بالقسم (الزبيدي؛ نقلاً عن السيوطي، ٢٠١٢: ١٥٣). واستخدم الإمام الأسلوب الإقناعي وهو القسم في «وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ وَأَنْ

www.SID.ir

Archive of SID

تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ» أو إتيانه بهذه الآية المحتوية على القسم «كَلَّا وَاللَّهِ لَقَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا» لإثبات حقانيته وباطل كلام معاوية. وقد دفع الإمام بسيل من المؤكّدات اللفظية والمعنوية لحمل المتلقّي على التصديق والإقناع. فبرز أسلوب القسم في هذه الرّسالة من رسائل الإمام لتوجه الملفوظ وجهة حجاجيّة. فالقسم، وكلّا واللام الموطئة لجوابه وأسلوب القصر والجمل الموجزة والتكرار كلّها وسائل كفيلة بإيصال رسائل خطيرة إلى معاوية، فالألفاظ بصوتها ورنينها وإيقاعها ومواقع النبر و.. بمفردها قادرة على إيجاد الإقناع.

إنكار التوبيخ:

من الملاحظ أنّ الاستفهام الإنكاري قد حقّق قوة "انجازية حجاجية" في رسائل الإمام علي عليه السلام كما رأينا استخدامه في هذه الرّسالة أيضا و"السؤال الإنكاري يأتي به السائل لتوبيخ المخاطب/المسؤول على ما وقع منه من فعل مذموم وهذا ما أشار إليه الجرجاني بقوله: «واعلم أنّ الهمزة فيما ذكرنا تقرير بفعلٍ قد كان وإنكار له لما كان وتوبيخ لفاعله عليه لذلك نجد هذا النوع من السؤال البلاغي يضطلع بوظائف حجاجيّة من خلال ما يقدّمه من مقتضيات نبينها فيما يأتي» (صولة، ٢٠٠٧: ٤٢٨). فبنية الحديث في هذا النصّ: «ذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ؛ وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ والْمَفْضُولَ وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ، وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ؟! هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا أَلَا تَرْبَعُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ظَلَعِكَ وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ الْقَدَرُ؟ فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ وَلَا ظَفَرُ الظَّافِرِ؟ [فَإِنَّكَ] وَإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيهِ، رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ» (نهج البلاغة، الرسالة ٢٨).

قد تشكّلت عبر استفهامات حجاجية قائمة على ثنائية: الهدم والبناء، أي هدم حجّة الخصم وتقويضها، وبناء حجج دامغة أفرغت حجج المسؤول/الخصم من محتواها، فالإمام قد استدعى الاستفهام على سبيل الإنكار والاستحقار والتوبيخ والتنبيه فقد أنكر عليه السلام على معاوية أن يخوض على صغر شأنه وحقارته في أمور المفاضلة بين المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم. وهنا يبرز الدور الحجاجي للاستفهام مشكّلاً لبنة أولى في خطة الإيقاع بالمخاطب/معاوية وافحامه ودفعه إلى الاقتناع بما هو أهمّ وبما هو موضوع الخلاف حقيقة عبر تعرية وتفكيك خطابه باتجاه تفنيده وبيان هذه الحجة يتمثّل في

www.SID.ir

Archive of SID

استدراج الخصم «ذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ» وجوهر هذه الحجّة إن معاوية وأباه أباسفيان كانا من الطلقاء الذين دخلوا الإسلام كرهاً لا طوعاً ولم يصحّ إسلامهما، لذلك استبعد الإمام وأنكر أهليته في هذا الحكم وتقدير الأفضليّة، وقوله: «وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا» مثل يضرب لمن يحكم على قوم وهو من أراذلهم وليس هو للحكم بأهل، بل هم أولى منه في تقرير الحكم؛ إذ شأن الأشراف أن يكونوا حكاماً ومراد الإمام أن معاوية ليس من القوم الذين يحكم بتفضيل بعضهم على بعض في شيء وليس أهلاً للحكم فيهم ولذلك استفهم الإمام في قوله: "ألا تربع "على سبيل الإنكار والتنبيه له على قصوره عن درجة السابقين والتقريع له على ادعائه لها وقد علّل عليه السلام هذا الإنكار التوبيخي باستدعاء المجاز وبيان ذلك: فلتترفق بنفسك ولا تكلّفها هذا الأمر ولتقف بها عن مجاراة أهل الفضل حال ظلعك، واستعار لفظة (الظلع) لقصوره ووجه المشابهة هو قصوره عن لحوق رتبة السابقين في الفضل كقصور الظالع عن شأو الضليع. وكذلك قوله: "وتعرف قصور ذرعك"، وقصور ذرعه كناية عن قصور قوّته وعجزه عن تناول تلك المرتبة، و"حيث أخّرك القدر" إشارة إلى مرتبته النازلة التي جرى القدر بها أن تكون نازلة عن مراتب السابقين وقد أمره بالتأخّر فيها والوقوف عندها تقريعاً وتوبيخاً بها. يترقى القول في سلّم الإقناع عبر لجوء الإمام عليه السلام إلى الاستفهام رغم علم السائل والمسؤول بثبوت المطلوب، في: «ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ، فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ؛ فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ؟ أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكَفَّهُ، [أَمَّنِ] أَمْ مَنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ وَبَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَى قَدَرُهُ عَلَيْهِ؟ كَلَّا وَاللَّهِ لَ "قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا". وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثاً؛ فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهِدَايَتِي لَهُ، فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ ":وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظِّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ". وَمَا أَرَدْتُ "إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيب» (نهج البلاغة، الرسالة ٢٨).

ولكنّ السؤال جاء للإقرار والإلزام بحقيقة المطلوب؛ ذلك أنَّ عثمان كان متهماً له عليه السلام بالدخول في أمره، وعندما اشتدّ عليه الحصار بعث إليه الإمام وعرض نصرته عليه فقال عثمان: لا أحتاج إلى نصرتك لكن أقعد عني وكفّ شرّك، وهنا ذكر الإمام نفسه بصفة بذل النصرة ليظهر خروجه مما نسب إليه من دم عثمان ثم أشار الإمام إلى دخول معاوية في ذلك بقوله "أمن استنصره فتراخى عنه وبثّ المنون إليه" وذلك أنه بعث حال حصاره إلى

www.SID.ir

Archive of SID

الشام مستصرخا معاوية فلم يزل يَعده الأخير ويتراخى عنه لطمعه في الأمر إلى أن قتل. فهذه القضيّة التي يدفع بها المتكلّم من أجل إقامة الحجّة على المخاطب في أسلوب إستفهامي هي لحمل المسؤول على الإقرار بها بل هو لا يستطيع دفعها أو إنكارها فهي من القضايا المشهورة التي يقرّ الناس بها في تلك الفترة.

الترجيح:

وهو أن نختار من بين الاحتمالين أفضلهما إلينا، سواء أتعلّق الأمر بنا أو بغيرنا، بعد إجراء الموازنة التي أساسها القيم وما تتفاضل بها الأشياء بحسب الغاية والنتيجة المتوخاة منها (يعقوبي، ٢٠١٢: ١٠٧)، ومن صور الترجيح في خطبه قوله: «وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلَافِ وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ؛ فَإِسْلَامُنَا [مَا] قَدْ سُمِعَ وَجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ وَكِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى "وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ" وَقَوْلُهُ تَعَالَى "إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ».

ولهذه الرسالة مقام، استدعى شيئاً من الانفعال الغاضب عند الإمام وهو قول معاوية:« وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فُلَانٌ وفُلَانٌ، فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ»، وهذا يتطلّب تواشجاً بين الانفعال والغضب من جهة وبين الحكمة والإقناع من جهة أخرى، وجواباً لمعاوية لما ساوى بين بني أمية وبني هاشم، إذ يكون بني هاشم هم أساس الإسلام والنبوّة والولاية وبني أمية هم أساس الكفر والعصيان والطغيان وعندما أسلموا لم يكن إسلامهم إلا تظاهراً ورياءً، ولكنَّ الإسلام عاملهم معاملة الأكفاء فتزوّج الرّسول من بنت أبوسفيان وزَوَّجَ بنته لعثمان. إذن ذكر الإمام استدلالات قوية بيّنت الفرق بين بني أمية وبني هاشم من جانب ونزلت مكانة بني أمية المصطنعة من جانب آخر. فعبارة "أسدالله" يقصد بها الإمام، حمزة عمّ النبي ﷺ الذي لقب من جانب الرسول بأسد الله؛ هذا لأنه شجاع ميدان الحرب وعبارة "أسد الأحلاف" منكم، يقصد به أبوسفيان لشهرته بالتحالفات ضدّ الإسلام قبل أن يسلم. وعبارة "صبية النار" منكم يقصد بها "أولاد مروان أو أولاد عقبة بن ابى معيط" وعبارة "سيدة نساء الجنة" يعني بها بنت الرسول فاطمة سلام الله عليها وعبارة "حمّالة الحطب" والتي أخذت من آية القرآن. و"هو لقب أم جميل امرأة

www.SID.ir

Archive of SID

أبي لهب وأخت أبوسفيان" من بني أمية. فتوثيق الإمام بأسبقية أنسابه وأنساب معاوية لم تترك المجال للإنكار، إذ تجبر المخاطب على الإقناع بفضائح أهله ومساوئهم المخزية وهذا هو منهج الفصاحة والبلاغة المتفرّد لدى الإمام في الإحجاج والإقناع؛حيث يسكت المتلقّي ويفرض عليه قبول واقعه. كما يتطلب مقام الإمام في الردّ على رسالة معاوية وعيا في ضرورة تدارك الأمور قبل فواتها وتدبر الأوضاع قبل فسادها، إذ يقدّم الإمام حجاجا ترجيحياً، لهبوط خصومه وما حملوا من أفكار لا عزّة فيها، وبين أفكار تمتُّ إلى طاعة الله ورسوله، وبذلك يوجه خطابه إلى الأخذ بالأرجح دليلاً، فإذا كانت مرتبة أحدهما أقوى من الآخر بما يحمل من مزايا وقيم ذاتية وأدلة تعزز الأقوى فإننا نرجّحه على الآخر ونختاره، وهذا ما انطوت عليه رسالته في مخاطبة معاوية ومحاولة إقناعه.

التعليل:

وهي طريقة للتعليل في إثبات حكم أو نفيه أو وجوده أو عدمه، وذلك بإظهار العلّة التي تبرز مشروعيته، إذ يحرص المتكلّم على ربط الأفكار والوصل بين أجزاء الكلام بجعل بعضها أسباباً لأخرى، فالحكم غالباً لا يخلو من علّة في الواقع، وأن النفس تقنع للأحكام المعلّلة بخلاف غيرها (يعقوبي، ٢٠١٢: ٩٥) . ومن هنا يأتي الإقناع، ومن ذلك ما جاء في رسالته هذه ونموذجاً لتعليل الإمام في رسالته، عندما أراد بيان تفضيل بني هاشم على بني أميّة في جواب معاوية عندما ساوا بين بني أمية وبني هاشم: «وَلَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَلَجُوا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ»، إذ ردّ الإمام على معاوية ذلك لأنّ بني أمية لا يستحقون الحكم والخلافة غير أنهم لا يكونوا من المهاجرين ولا حتى من الأنصار بل كانوا من الطّلقاء أو المشركين الطلقاء بعد دخول المسلمين مكّة وفتحها؛ إذن ردّ الإمام بنفس الأسلوب الذي اتّخذه، معاوية عندما لجأ لتعالي آله، فثبّت الإمام باطل كلام معاوية، وبين علوّ أهله واستحقاقهم الخلافة بعد الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم وتصديهم أمر المسلمين. جاء الإمام بالعلّة التي تبرر عدم الغرور والتكبّر بشيء لا يكون واقعاً وصدقاً والرّكون إلى الحقيقة وقبول الحقّ وهو مكانة أهل البيت، وهذا من شأنه أن يؤثّر في المتلقّي ويجلب الانتباه نحو فكرة الخطيب والمتكلّم.

www.SID.ir

Archive of SID

النتائج

أهمّ النتائج التي توصّلنا إليها في هذه الدراسة:

١. كان الهدف الاساس من هذا البحث الكشف عن نوع من الخطاب الذي يميّز التراث الاسلامي حيث أنه مصدر ومنشأ للدّراسات النظرية الحديثة تماما كما شاهدنا من خلال هذه الدراسة تطبيق لنظريات المنظّرين الكبار في مبحث الألسنيّات ومنها التداولية وخاصّة الإقناع والحجاج.

٢. ظهرت عملية الإقناع في رسالة الإمام في الفكرة وطريقة التعبير والأسلوب الذي اتّخذه الإمام في قوّة ردوده كما ظهرت من خلال الرّبط بين الفكرة والتعبير الصائب.

٣. إنّ كلمات الإمام في جوابه لمعاوية لم تكن إلا رموزاً وظّفها الإمام لتعبير الأفكاره أو المفاهيم أو التجارب تختصّ بالإمام فحسب.

٤. إنما أشار الإقناع إلى المنهجية المخطّطة لعقلية الإمام في فرض الإقناع على معاوية وما ظهر إلا من خلال أساليب الوصل والاستفهام الإنكاري والقسم المؤكد والتوبيخ وفعل التوجيه والتقرير و...

٥. إنّ تطبيق نظرية الإقناع في رسالة الإمام فتح أفقاً دلالياً رحباً؛ إذ دخل بنية الحجاج والإقناع في صميم التفاعل بين الإمام ومعاوية لإثبات استدلالات الإمام بقوّة.

٦. هذه العملية التطبيقية دلّت على براعة الإمام علي ﷺ في البيان والبلاغة المتميّزة والأسلوب القرآني والإقناعيّة الحجاجيّة الفريدة والمتضلّعة بنوعها بين النصوص الدّينية.

٧. ارتكزت هذه الرّسالة على خطاب يكون مبنياً على (المرسل/الرسالة/ المرسل إليه) وهي بنية لابد لأيّ خطاب ناجح من استيعابها.

٨. هذه الدّراسة تحلّ مركزاً مهماً في أبحاث التراث الإسلامي حيث تدلّنا على ازدهار الدّراسات الحجاجية بوصفها مرادفة للجدل وتحلّ في قسم الدّراسات القرآنية والتفسير غير الدّراسات في اللغة واللغة العربية حصراً.

www.SID.ir

Archive of SID

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. ابن أبي الحديد، عبدالحميد (٢٠٠١م). *شرح نهج البلاغة*. تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم. بيروت: دار الساقية.

٢. ابن فارس، أبوالحسن (١٩٧٩م). *معجم مقاييس اللغة*. المحقق: عبدالسلام محمد بن هارون، بيروت: دار الفكر.

٣. ابن منظور، جمال الدين محمد (١٤١٤هـ). *معجم لسان العرب*. ط ٣، بيروت: دار صادر.

٤. استيتية، سمير شريف (٢٠٠٥م). *اللسانيات (المجال والوظيفة والمنهج)*. بيروت: عالم الكتب الحديث.

٥. تستري، محمد تقي (١٣٧٦ش). *شرح نهج البلاغة*. ط ٣، طهران: انتشارات اميركبير.

٦. الجاحظ (لا تا). *البيان والتبيين*. تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة: مطبعة الخانجي.

٧. جان كاين، لويس (٢٠٠٦م). *علم الاجتماع اللغوي*. ترجمة: محمد يحياتن، الجزائر: دار الكتب العلمية.

٨. الزبيدي، جبار (٢٠١٧م). *مرويات رسائل الإمام علي عليه السلام في النهج البلاغة: دراسة حجاجية*. كربلاء: مؤسسة علوم نهج البلاغة.

٩. الزركشي، بدرالدين (١٩٨٠م). *البرهان في علوم القرآن*. تحقيق: محمد ابوالفضل ابراهيم، بيروت: دار الفكر.

١٠. الدريدي، سامية (٢٠١١م). *الحجاج في الشعر العربي القديم: بنيته وأساليبه*. ط ٢، أربد: عالم الكتب الحديث.

١١. ديماس، محمد راشد (١٩٩٩م). *الحوار والإقناع*. بيروت: دار ابن حزم.

١٢. السبكي، بهاءالدين (٢٠٠٣م). *عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح*. تحقيق: عبدالحميد هنداوي، صيدا؛ بيروت: المكتبة العصرية.

١٣. سعدون هنون، هادي (٢٠١٢م). *التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية*. نجف: إصدارات العتبة العلوية المقدسة.

١٤. الشهري، عبدالهادي بن ظافر (٢٠٠٧م). *استراتيجيات الخطاب: مقاربة تداولية*. بيروت: دار الكتب الجديدة المتحدة.

www.SID.ir

Archive of SID

١٥. صمود، حمادي (١٩٩٩م). *من تجليات الخطاب البلاغي*. تونس: دار قرطانج للنشر والتوزيع.

١٦. ضيف، شوقي (١٩٩٠م). *البلاغة تطور وتاريخ*. ط ٨، القاهرة: دار المعارف.

١٧. العزاوي، أبوبكر (٢٠١٠م). *الخطاب والحجاج*. بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة.

١٨. علوي، حافظ اسماعيل؛ وآخرون (٢٠١٠م). *الحجاج: مفهومه ومجالاته*. أربد: عالم الكتب الحديث.

١٩. العمري، محمد (٢٠٠٢م). *في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة البلاغة العربية*. ط ٢، بيروت: دار الفكر.

٢٠. صولة، عبدالله (٢٠٠٧م). *الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية*. ط ٢، القاهرة: دار المعارف.

٢١. فيصل صلاح الدين، أصلان (٢٠٠٤م). *الخطابة فن الإقناع والإمتاع*. الرياض: مركز البحوث التربوية.

٢٢. كوهن، جان (١٩٨٦م). *بنية اللغة الشعرية*. ترجمة: محمد الولي؛ ومحمد العمري، المغرب: دار توبقال للنشر.

٢٣. الناجح، عزالدين (٢٠١١م). *العوامل الحجاجية في اللغة العربية*. تونس: مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع.

٢٤. المبخوت، شكري (٢٠٠٩م). *توجيه النفي في تعامله مع الجهات والأسوار والروابط*. بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة.

٢٥. يعقوبي، محمود (٢٠١٢م). *المنطق الفطري في القرآن الكريم*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

٢٦. بلخير، هشام (٢٠١٢م). *آليات الإقناع في الخطاب القرآني: دراسة حجاجية*. مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في اللسانيات العامة (سورة الشعراء نموذجاً) جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر.

٢٧. رحيمة، شبتر (٢٠٠٩م). *تداولية النص الشعري*، أطروحة مقدمة لنيل الدكتورا، الجزائر.

٢٨. السعيدي، ناصر بن دخيل الله بن فالح (١٤٢٥هـ). *الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي: دراسة وصفية*. أطروحة دكتوراه، السعودية: جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية.

٢٩. ضبغي، نذير (٢٠١٥م). *الأبعاد التداولية في مقامات الحريري*. مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة محمد خضير- بسكرة، الجزائر.

www.SID.ir

Archive of SID

٣٠. الكعبي، رائد حاكم (٢٠١٥م). *بلاغة الإقناع؛ قراءة حجاجية في خطب الإمام الحسين عليه السلام*. رسالة ماجستير، جامعة كربلاء.

٣١. يعمرانن، نعيمة (٢٠١٢م). *الحجاج في كتاب (المثل السائر) لابن الأثير*. رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري/ تيزي وزو، الجمهورية الجزائرية.

٣٢. بوزناشة، نورالدين (٢٠١٠م). «الحجاج في الدرس اللغوي». *مجلة العلوم الإنسانية*، العدد ٤٤، صص٤٣-٦٥.

٣٣. بوقره، نعمان (٢٠٠٥م). «نظرية الحجاج». *مجلة الموقف الأدبي*، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، العدد ٤٠٧، صص٨٧-١٠٠.

٣٤. الحميدان، إبراهيم بن صالح (١٤٢٦هـ). «الإقناع والتأثير؛ دراسة تأصيلية دعوية». *مجلة جامعة الإمام*، العدد ٤٩، صص١٢١-١٤٥.

٣٥. حسيني كوهساري، سيد إسحاق؛ متقي زاده، عيسى (٢٠١٤م). «مقاربة أسلوبية دلالية في خطبة الجهاد». *مجلة اللغة العربية وآدابها*، العدد ٢، صص١٠١-١٢٣.

www.SID.ir